الطريق إلى

الولد الصالح

تأليف

وحيد بن عبد السلام بن بالي

دار ابن رجب



الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

الناشر

دار ابن رجب

المركز الرئيسي : فارسكور : ٠٥٧/٤٤١٥٥٠ - ٠١٢٢٣٨٣٠٣٥٦

فرع المنصورة : محطة الأتوبيس الدولية : ٠٥٠/٢٢١٢٠٦٨

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإنه لا مخرج لنا من الأزمة التى نحن فيها إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله-ﷺ- قولاً وعملاً وتطبيقاً، وتحكيم الكتاب والسنة فى كل أمورنا صغيرها وكبيرها ،عظيمها وحقيرها، ثم تنشئة أولادنا على ذلك وغرس حب الله والرسول فى قلوبهم ،وتعويدهم منذ الصغر على التضحية من أجل هذا الدين والعمل لرفعة هذا الدين وبذل الغالى والرخيص فى سبيل إعلاء هذا الدين .

وقتها سيعود جيل خالد بن الوليد، وطلحةبن عبيد الله، وسعد بن أبى وقاص .

وقتها سيسود المسلمون العالم كما ساده أجدادهم من قبل ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾

[الروم : ٤، ٥]

من أجل ذلك كتبت هذه الكلمات سائلاً المولى ـ تبارك وتعالى ـ أن ينفع بها فى حياتى وبعد مماتى إنه أكرم مسؤول ، وصلِّ اللهم وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

وكتبه/

وحيد بن عبد السلام بالى

مدينة الرسول -ﷺ-

فى ٢٢/ ١/ ١٤١٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الولدُ الصالحُ هو خير كنز يتركه المسلم من بعده، فهو نافع لأبويه فى حياتهما وبعد موتهما.

ولذلك يقول النبى -ﷺ- : «**إذا مَاتَ العَبْدُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَّ مِنْ ثَلاث : صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، أوْ عِلمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**» (١).

بل إن الذرية الصالحة يُجمع شملُها مع آبائها الصالحين فى الجنة :

﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور : ٢١].

فعلى المسلم أن يأخذ بالأسباب لنيل الولد الصالح وهذه الأسباب نجملها فيما يأتى :

---

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي ، وكذا رواه البخاري في الأدب المفرد ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- .

١-اختيار الأم

على المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التى تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق ولدها، والأم التى تعرف رسالتها فى الحياة، الأم التى تعرف موقعها فى هذه المحن، الأم التى تغار على دينها، وعلى سنة نبيها -ﷺ-.

وذلك لأن الأم هى المصنع الذى سيُصنع فيه أبناؤك، وهى المدرسة التى سيتخرجون منها.

فإن كانت صالحة أرضعتهم الصلاح والتقوى، وإن كانت غير ذلك فكذلك.

وصدق الشاعر:

الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إذا أعْدَدْتَهَا
أعْدَدْتَ شَعْباً طَيِّبَ الأعْرَاقِ
الأُمُّ رَوْضٌ إنْ تَعَهَّدَهُ الحيا
بَالرِّىِّ أوْرَقَ أيُّما إيرَاقِ
الأُمُّ أسْتَاذُ الأسَاتذَة الألَى
شَغَلَتْ مَآثِرَهُمْ مَدَى الآفَاقِ

وهذه نماذج تخرجت من مدرسة الأم :

يقول محمد المقدم :

لا تكاد تقف على عظيم ممن راضوا شمس الدهر وذلّت لهم نواصى الحادثات، إلا وهو ينزع بعرقه وخلقه إلى أم عظيمة، وكيف لا يكون ذلك والأم المسلمة قد اجتمع لها من وسائل التربية ما لم يجتمع لأخرى ممن سواها؟! مما جعلها أعرف خلق الله بتكوين الرجال، والتأثير فيهم ، والنفاذ إلى قلوبهم ، وتثبيت دعائم الخُلق العظيم بين جوانحهم وفى مسارب دمائهم .

*** فالزبير بن العوام:**

قامت بأمره أُمُّهُ صفية بنت عبد المطلب فنشأ على طبعها وسجيتها .

والكملة العظماء : عبد الله والمنذر وعروة أبناء الزبير ثمرات أمهم أسماء بنت أبى بكر ، وما منهم إلا له الأثر الخالد والمقام المحمود .

● **وعلى بن أبى طالب** -رضي الله عنه- :نقل فى تربيتـــه بين صدرين من أملأ صدور العالمين حكمة ، وأحفلها بجلال الخلال، فكان مغداه على أمه فاطمة بنت أسد، ومراحه على خديجة بنت خويلد زوج رسول الله-ﷺ- .

*** وعبد الله بن جعفر:** سيد أجواد العرب وأنبل فتيانهم تركه أبوه صغيراً ، فتعاهدته أمه أسماء بنت عُمَيس ولها من الفضل والنبل مالها .

***ومعاوية بن أبي سفيان: أَرْيَبُ** العرب وألمعيُّها، ورث عن هند بنت عتبة مالم يرَث عن أبى سفيان، وهى القائلة-وقد قيل لها ومعاوية وليد بين يديها : « إن عاش معاوية ساد قومه»-(ثكلْتهُ إن لم يَسُد إلا قومه) وكان معاوية -رضي الله عنه- إذا نوزع الَفخر بالمقدرة ، وجوذب بالمباهاة بالرأى انتسب إلى أمه فصدع أسماع خصمه بقوله : (أنابن هند) .

***وأبو حفص عمر بن عبدالعزيز:** أودع الملوك وأعدلهم وأجلُّهم ، أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ،

أكمل أهل دهرها كمالاً، وأكرمهن خلالاً، وأمها تلك التى اتخذها عمر لابنه عاصم وليس لها ما تعتز به من حسب ونسب، إلا ما جرى على لسانها قول الصدق فى نصيحتها لأمها(١) وهى التى نزعت به إلى خلائق جده الفاروق.

*وأمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر: الذى ولىَ الأندلس وهى ولاية تميد بالفتن، وتشرق بالدماء، فمَا لبث أن قرت له وسكنت لخشيته، ثم خرج فى طليعة جنده، فافتتح حصناً فى غزوة واحدة.

ثم أمعن بعد ذلك فى قلب فرنسا، وتغلغل فى أحشاء سويسرا، وضم أطراف إيطاليا، حتى ريض كل

(١) حكي الميداني أن عمر -رضي الله عنه- مر بسوق الليل -وهي من أسواق المدينة- فرأي امرأة معهالبن تبيعه، ومعها بنت لهاشابة، وقدهمت العجوز أن تمذق لبنها -أي تخلطه بالماء- فجعلت الشابة تقول: يا أمي لاتمذقيه ولا تغشيه، فوقف عليهما عمر فقال: من هذه منك؟ قالت: ابنتي فأمر عاصما فتزوجها وهي جدة عمر بن عبد العزيز لأمه. نقلاً عن عودة الحجاب (٢/١٤٣).

أولئك له، ورجف لبأسه، وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر الخليفة العباسي على منابرها، وتمضى باسمه أحكامها، أصبحت مقر خلافته يحتكم إليها عواهل أوربا وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلافستها.

أتدرى ما سر هذه العظمة، وما مهبط وحيها؟ إنها المرأة وحدها، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً، قَتَلَ عمُّه أباه فتفردت أمه بتربيته، وإيداع سر الكمال وروح السمو فى ذات نفسه، فكان من أمره ما علمت.

***وسفيان الثوري:** وما أدراك ما سفيان الثورى؟! إنه فقيه العرب ومحدثهم، وأحد أصحاب المذاهب الستة المتبوعة، إنه أمير المؤمنين فى الحديث الذى قال فيه زائدة: الثورى سيدالمسلمين، وقال الأوزاعى: لم يبق من تجتمع عليه الأمة بالرضا إلا سفيان.

وما كان ذلك الإمام الجليل، والعَلَم الشامخ، إلا ثمرة أم صالحة، حفظ التاريخ لنا مآثرها وفضائلها

ومكانتها وإن كان ضنّ عليها باسمها .

روى الإمام أبو عبد الله -رحمه الله- بسنده عن وكيع قال : قالت أم سفيان لسفيان : يا بنى اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى .

فكانت رحمها الله -تعمل ، وتقدم له، ليتفرغ للعلم، وكانت تتخوّله بالموعظة والنصيحة ،

قالت له ذات مرة فيما يرويه الإمام أحمد أيضاً : يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى فى نفسك زيادة فى خشيتك، وحلمك ووقارك، فإن لم تر ذلك ، فاعلم أنها تضرك، ولا تنفعك، فهل ترى من غرابة بعد هذا أن نرى سفيان يتبوأ منصب الإمامة فى الدين، كيف وهو قد ترعرع فى كنف مثل هذه الأم الرحيمة ، وتغذى بلبان تلك الأم الناصحة التقية؟!

***والإمام الثقة الثبت إمام أهل الشام وفقيههم ،أبو عمرو الأوزاعي ...**

يقول فيه أبو سحاق الفزارى : ما رأيت مثل رجلين :

الأوزاعى ، والثورى فأما الأوزاعى فكان رجل عامة والثورى كان رجل خاصة ، ولو خُيِّرت لهذه الأمة ، لاخترت لها الأوزاعى ، لأنه كان أكثر توسعاً ، وكان والله إماماً .

قال النووى رحمه الله : وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعى وجلالته وعلو مرتبته ، وكمال فضله ، وأقاويل السلف ــ رحمهم الله ــ كثيرة مشهورة مصرحة بورعه ، وزهده ، وعبادته وقيامه بالحق ، وكثرة حديثه ، وغزارة فقهه ، وشدة تمسكه بالسنة ، وبراعته فى الفصاحة ، وإجلال أعيان أئمة عصره من الأقطار له ، واعترافهم بمرتبته .

ذلك الحبر البحر كان أيضاً ثمرة أُمٍّ عظيمة .

قال الذهبى : قال الوليد بن مزيد البيروتى : ولد الأوزاعى ببعلبك ، ورُبِّىَ يتيماً فقيراً فى حجر أمه ، تعجز الملوك أن تؤدب أولادها أدبه فى نفسه . ما سمعت منه كلمة فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه .

ولا رأيته ضاحكاً يقهقه، ولقد كان إذا أخذ فى ذكر المعاد أقول : تُرى فى المجلس قلب لم يبك؟!

* وهذه أم (ربيعة الرأى) شيخ الإمام مالك، أنفقت على تعليم ولدها ثلاثين ألف دينار خَلَّفَهَا زوجها عندها، وخرج إلى الغزو ، ولم يعد لها إلا بعد أن استكمل ولده الرجولة والمشيخة، وكانت أمه قد اشترتهما له بمال الرجل ، فأحمد الرجل صنيعها، وأربح تجارتها فى قصة ساقها ابن خلكان، قال :

وكان فروخ أبو ربيعة خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية ، وربيعة حمل فى بطن أمه ، وخَلَّف عند زوجته (أم ربيعة) ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرساً، وفى يده رُمح، فنزل ودفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، وقال : يا عدو الله، أتهجم على منزلى ؟فقال فروخ : يا عدو الله أنت دخلت على حرمى فتواثبا، حتى اجتمع الجيران ، وبلغ مالك بن أنس فأتوا يعينون ربيعة، وكثر الضجيج، وكل منهما

يقول : لا فارقتك ، فلما بصروا بمالك سكتوا ، قال مالك : أيها الشيخ لك سعة فى غير هذه الدار ، فقال الشيخ : هى دارى ، وأنا فروخ ، فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت وقالت : هذا زوجى وهذا ابنى الذى خلّفه وأنا حامل به .

فاعتنقا جميعاً وبكيا ، ودخل فروخ المنزل ، وقال : هذا ابنى ؟ فقالت : نعم .

قال : أخرجى المال الذى عندك . قالت : تُعَرِّضُ ، قد دفنته وأنا أخرجه ، ثم خرج ربيعة إلى المسجد ، وجلس فى حلقته ، فأتاه مالك والحسن ، وأشراف أهل المدينة ، وأحدق الناس به .

فقالت أمه لزوجها فروخ : اخرج فَصَلِّ فى مسجد رسول الله -ﷺ- ، فخرج ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاها فوقف عليها ، فنكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، وعليه قلنسوة طويله ، فشك أبوه فيه ، فقال : من هذا الرجل ؟ فقيل : هذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن .

فقال : لقد رفع الله ابنى ، ورجع إلى منزله ، وقال لوالدته : لقد رأيت ولدك على حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها .

فقالت أمه : فأيهما أحب إليك . . ثلاثون ألف دينار أم هذا الذى هو فيه؟

فقال : لا والله بل هذا . .

فقالت : أنفقت المال كله عليه .

قال : فوالله ما ضيعتيه . اهـ[١] .

هذه هى الأم المسلمة التى جلست فى بيتها ، وأنتجت لنا أعظم ثروة ، صنعت الرجال العظماء الذين قادوا البشرية إلى الخير والرشاد .

---

(١) راجع كتاب عودة الحجاب(٢/ ١٤١-١٤٥) .

٢- الدُّعَاءُ

على المسلم أن يدعو الله أن يرزقه الولد الصالح الذى ينفعه فى حياته وبعد مماته والله- عز وجل- يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

وقال -سبحانه وتعالى- فى وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

٣- أذكار البناء

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- عن النبى -ﷺ- قال: «إذا تَزَوَّجَ أَحَدُكُم امْرَأَةً، أو اشْتَرى خَادماً، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّى أسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه، وَأَعُوذُ بكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْه- وإذَا اشْتَرى بَعيراً، فَلْيَأْخُذْ بذِرْوَةِ سَنَامه، وَلْيَقُلْ: مِثْلَ ذَلك»[1].

---

(١)رواه أبو داود وابن ماجه وحسنه الألباني في تخريج الكلم الطيب ص١٢٢، وفي آداب الزفاف ص١٧، ١٨.

٤- أذكار الجماع

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- عن النبى -ﷺ- قال «لَو أنَّ أحَدَكُمْ إذَا أتَى أهْلَهُ، قَال: بسْم اللَّه اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّب الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا-فَقُضِى بَيْنَهُما ولَدٌ، لَمْ يَضُرهُ الشَّيْطَانُ أبَداً»(١).

٥- تحنيك المولود

يستحب تحنيك المولود عقب الولادة، اقتداء بالنبى -ﷺ- ، ولكن ما التحنيك؟ وما الحكمة من ذلك ؟

التحنيك معناه: (مضغ التمرة ودلك حنك المولود بها وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع ، وإدخال الأصبع فى فم المولود ، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة).

ولعل الحكمة فى ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتمليظ ، حتى يتهيأ المولودُ للَقْمِ الثدى، وامتصاص اللبن بشكل قوى ، وحالة

طبيعية، ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح(١).

وعن أبى موسى -رضي الله عنه- قال: وُلِدَ لى غُلامٌ فَأَتَيْتُ به النبيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَسَمَّاهُ إِبْراهيمَ، وَحَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ وَدعا لَهُ بالبَرَكَةِ، وَدَفَعَهُ إلىّ(٢).

وقالت عائشة -رضى الله عنها-: كان رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يُؤْتى بالصبيان فيدعو لهم بالبركة، ويحنِّكُهم(٣).

٦- اختِيارُ الاسْم الحَسَن(٤).

على المسلم أن ينتقى من الأسماء أحسنها وأجملها، لأنها تظل عنواناً علي صاحبها طوال حياته.

وعن ابن عمر -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**إِن أَحَبَّ أَسمَائكُمْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ: عَبْدُ اللَّه**

(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام (١/ ٧٧).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه أبو داود وقال الألباني في تخريج الكلم الطيب (١٢٤): إسناده صحيح علي شرط الشيخين.
(٤) راجع رسالة (تسمية المولود) للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد.

وعَبْدُ الرَّحْمنِ » (١).

٧- العقيقة

عن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول : « **مَعَ الغُلامِ عَقيقَةٌ ،فأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَماً ،وأَميطُوا عَنْهُ الأَذَى**»(٢) .

وعن أم كرز -رضى الله عنها- أنها سألت النبى -ﷺ- عن العقيقة فقال : « **عَنْ الغُلامِ شَاتَانِ ، وَعَنِ الجَارِيَةِ شَاةٌ وَاحِدَةٌ**» (٣) .

٨-التربية الإسلامية المتكاملة

على الآباء والأمهات أن يعلموا أن أمر التربية ليس بالأمر اليسير ، وإنما هو المحرك الأساسى لسلوك الولد فيما بعد ، ولذا كان يجب على المربين سواء كانوا آباء أو

(١) رواه مسلم في صحيحه .
(٢)رواه البخاري في كتاب العقيقة-باب إماطة الأذي عن الصبي (٩/ ٥٩٠فتح) .
(٣) رواه أهل السنن وقال الترمذي : صحيح .

أمهات أو معلمين أن يهتموا بأمر التربية ويتقنوا أصولها، ولقد كان المسلمون الأوائل ينتقون لأولادهم أفضل المؤدِّبين علماً وأحسنهم خلقاً، وأميزهم أسلوباً وطريقة، وإليك طرفاً من أخبارهم [١].

* روى الجاحظ أن عقبة بن أبى سفيان مادفع ولده إلى المؤدب إلا قال له: (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِىَّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسَن عندهم ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت، وعلِّمهم سير الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بى، وأدبهم دونى، وكن لهم كالطبيب الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ولا تتكلنَّ على عذر منى، فإنى اتكلت على كفاية منك).

* وروى ابن خلدون فى مقدمته: أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين إلى المؤدب قال له: يا أحمد: إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه، وثمرة قلبه، فصَيِّرْ يدك

(١) راجع تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٥٤، ١٥٥).

عليه مبسوطة، وطاعتك له واجبة، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين.

أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّه الأشعار وعلمه السنن، وبصِّره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا فى أوقاته، ولا تمُرُنّ بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه، ولا تمعن فى مسامحته، فيستحلى الفراغ ويألفه، وقوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أبَاهُمَا فعليك بالشدة والغلظة.

* وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدب ولده: علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن، واحملهم على الأخلاق الجميلة، وروِّهم الشعر يشجعوا وينجدوا، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم، وجنبهم السفلة والخدم، فإنهم أسوأ الناس أدباً، ووقرهم فى العلانية وأنبِّهم فى السر، واضربهم على الكذب، فإن الكذب يدعو إلى الفجور، وإن الفجور يدعو إلى النار.

* وقال الحجاج لمؤدب بنيه علمهم السباحة قبل

الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم ، ولا يجدون من يَسْبَح عنهم .

وكتب عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأهل الشام يقول لهم : علموا أولادكم السباحة والرمى والفروسية .

* وقال أحد الحكماء لمعلم ولده : لا تخرجنهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن اصطكاك العلم فى السمع ، وازدحامه فى الوهم مضلة للفهم .

* ومن وصية ابن سيناء فى تربية الولد : أن يكون مع الصبى فى مكتبه صبْية حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، لأن الصبىَ عن الصبى ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس .

* قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبى مؤدب ولده : إن ابنى هذا هو جلدة ما بين عينى ، وقد ولّيتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روِّه من الشعر أحسنه ، ثم تخلل به أحياء العرب ، فخذ من صالح شعرهم ، وبَصِّرْهُ

طرفاً من الحلال والحرام ، والخطب والمغازى .

أصول التربية (١)

لابد للمربين من معرفة أصول التربية الإسلامية والإلمام بجميع جوانبها حتى يقوموا بها خير قيام ويعدّوا لنا الجيل الذى يعود بالأمة المسلمة إلى سيرة الأسلاف الكرام الذين سادوا الأرض بعزة الإيمان ، وهاكم أصولها :

أولاً: التربية الإيمانية

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعلقه بأصول الإيمان ، وتعويده منذ تفهمه أركان الإسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الغراء . تعليمه أصول الإيمان مثل :

الإيمان بالله سبحانه ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب ، والإيمان بالرسل .

(١) راجع تربية الأولاد في الإسلام ص(١٥٧، ٤١٢) .

الإيمان بسؤال الملكين، وعذاب القبر، والبعث، والحساب، والجنة والنار، وسائر المغيبات.

وتعليمه أركان الإسلام مثل: الصلاة والصوم، والزكاة، والحج. وتعليمه مبادئ الشريعة مثل:

أقضية الإسلام، وأحكامه، وقوانينه، ونظمه وينتج عن ذلك عدة أمور:

١- حُبُّ اللهِ تعالى:

وذلك بلفت نظر الطفل إلى نعم الله التى لاتعد ولا تحصى.. فمثلاً: لو جلس الوالد مع ولده على الطعام فقال له: هل تعلم يا بنى من أعطانا هذا الطعام؟ فيقول الولد: من يا أبتى؟ فيقول الأب: الله. فيقول الولد: كيف؟! فيقول الأب: لأن الله هو الذى يرزقنا ويرزق الناس جميعاً أوَليس هذا الإله بأحق أن تحبه يا ولدى؟!

سيجيب الولد: نعم.

ولو مرض الولد مثلاً فَيُعوِّده الوالد على الدعاء يقول له: ادعُ الله أن يشفيك لأنه هو الذى يملك الشفاء

ثم يحضر الطبيب ويقول له : هذا الطبيب سبب فقط ولكن الشفاء من عند الله ، فإذا قَدَّرَ الله له الشفاء يقول : اشكر الله يا ولدى ، ثم يبين له فضل الله فيحبه لأنه هو الذى أكرمه بالشفاء .

وهكذا فى كل مناسبة وعند كل نعمة تربطها بالمنعم حتى يغرس حب الله فى قلب الولد الصغير .

٢- حُبُّ الرَّسُوْل -ﷺ- :

وذلك بتعليمه مواقف الرسول -ﷺ- وشجاعته ، ووفاءه ، وحلمه ، وكرمه ، وصبره ، وإخلاصه ، وبهذا يحب الولد نبيه -ﷺ- .

٣- مُرَاقَبَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

وذلك ، لأنه يعلم أن الله مطلع عليه فى كل حركة وسكنة فسيراقبه ، ويخشاه ، ويخلص فى عمله ابتغاء مرضاة الله .

٤- تَعْلِيمُهُ أَحْكَامَ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ :

وذلك لأن المربى سيبين له الحرام حتى يجتنبه، والحلال المباح كى يفعله، والآداب الإسلامية كى يمثلها.

وخلاصة القول أن مسئولية التربية الإيمانية لدى المربين والآباء، و الأمهات، لهى مسئولية هامة، وخطيرة، لكونها منبع الفضائل ومبعث الكمالات، بل هى الركيزة الأساسية لدخول الولد فى حظيرة الإيمان. وبدون هذه التربية لا ينهض الولد بمسؤولية، ولا يتصف بأمانة، ولا يعرف غاية، ولا يتحقق بمعنى الإنسانية الفاضلة، ولا يعمل لمثل أعلى ولاهدف نبيل، بل يعيش عيشة البهائم ليس له هَمٌ سوى أن يسد جوعته، ويشبع غريزته، وينطلق وراء الشهوات والملذات، ويصاحب الأشقياء والمجرمين.

فعلى الأب أوالمربى: أن لا يترك فرصة سانحة تمر إلا وقد زوِّد الولد بالبراهين التى تدل على الله، وبالإرشادات التى تُثبت الإيمان وبالصفات التى تقوى جانب العقيدة.

وهذا أسلوب فعَّال فى ترسيخ العقيدة فى نفوس الصغار ، ولقد استعمله رسول الله -ﷺ- فها هو ينتهز فرصة ركوب عبد الله بن عباس خلفه على حمار ، فيقول : «**يا غلامُ إنّى أُعَلِّمُكَ كلماتٍ : احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ ،احْفظْ الله تَجدْهُ تُجاهَكَ ،وإذا سَأَلْتَ فَسْأَلْ اللهَ ،وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعنْ بالله ،واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعْت على أنْ يَنْفَعُوْكَ بشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوْكَ إلا بشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لك ، وإن اجْتَمعُوا على أنْ يَضُرُّوكَ بشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْك ،رُفعَت الأَقْلامُ ،وَجَفَّت الصُّحُفُ**»(١) .

وها هو يرى غلاماً تطيش يده فى الصفحة أثناء تناوله الطعام ، فيقول له : (**يا غُلامُ، سَمِّ اللهَ ،وَكُلْ بيَمينكَ ،وَكُلْ ممَّا يَليكَ**) (٢) .

---

(١) رواه أحمد ، والترمذي، والحاكم ،وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦/ ٣٠١) برقم (٧٨٣٤)

(٢) رواه البخاري -كتاب الأطعمة-باب : التسمية على الطعام والأكل باليمين (٩/ ٥٢١) ، مسلم : كتاب : الأشربة(١٣/ ١٩٣) .

ثانياً: التربية الخلقية :

التربية الخلقية هى مجموعة المبادئ الخلقية، والفضائل السلوكية والوجدانية التى يجب أن يتلقنها الطفل ويكسبها، ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعلقه إلى أن يصبح مكلفاً إلى أن يتدرج شاباً إلى أن يخوض خضم الحياة[1].

ومما لاشك فيه أن الفضائل الخلقية، والسلوكية والوجدانية هى ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ، والتنشئة الدينية الصحيحة.

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الإيمان بالله، ويتربى على الخشية منه، والمراقبة له، والاعتماد عليه، والاستعانة به، والتسليم لجنابه فيما يحب ويكره تصبح عنده الملكة الفطرية، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم.

---

(١) راجع تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٧٧).

لأن الوازع الدينى الذى تأصل فى ضميره، والمراقبة الإلهية، التى ترسخت فى وجدانه، والمحاسبة النفسية التى سيطرت على تفكيره وإحساساته كل ذلك بات حائلاً بين الطفل وبين الصفات القبيحة، والعادات الآثمة المرذولة، والتقاليد الجاهلية الفاسدة ، بل إقباله على الخير يصبح عادة من عاداته، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خُلُقاً أصيلاً من أبرز أخلاقه وصفاته .

والعكس تماماً حينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية، مجردة من التوجيه الدينى والصلة بالله- عز وجل -، فإن الطفل لا شك يترعرع على الفسوق والانحلال ، وينشأ على الضلال والإلحاد ، بل سيتبع نفسه هواها ويسير خلف نوازع النفس الأمارة، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطة .

الأخلاق الهابطة

هناك عدّة أخلاق منتشرة بين الأطفال لابد من

مراعاتها والتحذير منها وهى :

١ - خلق الكذب:

وهو خلق ذميم فواجب على الآباء والمربين أن يراقبوا أولادهم ، حتى لا يقعوا فى ذلك الخلق الشنيع .

ويكفى الكذب تشنيعاً وتقبيحاً أن عَدَّهُ الإسلام من خصال النفاق ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضى الله عنهما- أن النبى -ﷺ- قال :

«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كَانَ مُنَافقاً خَالصاً ،وَمَنْ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منْهُنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ منَ النِّفَاق حَتَّى يَدَعَهَا :إِذَا اؤْتُمنَ خَانَ ،وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ،وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ،وإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1] .

٢ - خلق السَّرقة:

وهو لا يقل خطراً عن الكذب ، وهو منتشر فى البيئات المتخلفة التى لم تتخلق بأخلاق الإسلام ، ولم

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب : علامة المنافق (١/ ٨٩ فتح)، ومسلم في كتاب : الإيمان (١/ ٤٦ نووي).

تَتَرَبَّ على مبادئ التربية والإيمان .

ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه، وأن يتعود على الأمانة وأداء الحقوق ، فإن الولد -لاشك- سيدرج على الغش والسرقة والخيانة، وأكل الأموال بغير حق ، بل يكون شقيًا مجرماً، يستجير منه المجتمع ، ويستعيذ من سوء فعاله الناس .

لهذا كان لزاماً على الآباء أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله، والخشية منه، وأن يعرفوا بالنتائج الوخيمة التى تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة .

٣-خلق السباب والشتائم:

وهو خلق قبيح منتشر فى محيط الأولاد خاصة من تربوا بعيداً عن هدى القرآن، والإلتزام بالإسلام .

يقول عبد الله علوان : والسبب فى انتشار ظاهرة السباب والشتائم بين الأولاد يعود إلى أمرين :

الأول: القدوة السَّيئة:

فـالولد حـينمـا يسـمع من أبويه كـلمـات الفُـحش والسبـاب وألفـاظ الشتـيمـة والمنكر . . فـإن الولد - لا شك - سيحاكى كلماتهم ، ويتعود ترداد ألفاظهم .

فـلا يصـدر منه فى النهـاية إلا كـلام فـاحش ، ولا يتلفظ إلا بمنكر من القول وزوره .

الثانى: الخلطة الفاسدة:

فـالولد الذى يُلقى للشـارع ، ويُتـرك لقـرناء السوء ، ورفقاء الفساد ، فمن البديهى أن يتلقن منهم لغة اللعن .

لهـذا كله واجب على الآباء والأمـهـات والمربين جـميـعـاً أن يعطوا للأولاد القـدوة الصـالحـة فى حـسن الخطاب ، وتهذيب اللسان ، وجمـال اللفظ والتعبير كما يجب عليـهم أن يجنبـوهم لعب الشـارع ، وصـحبـة الأشـرار ، وقرناء السوء حتى لايتـأثروا من انحـرافـهم ويكتسبوا من عاداتهم .

ويجب عليـهم كـذلك أن يبصـروهم مـغبـة افـات اللسان ونتـيجة البذاءة فى تحطيم الشـخصية ، وسقـوط المهابة ، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع[1] .

---

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٨٨) .

ويمكنك أن تُلقى على أسماعهم بعض الأحاديث التى تنهى عن اللعن والسب مثل : حديث عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال :

«سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ ،وقِتَالُهُ كُفْرٌ» (١) .

وحديث عبد الله بن عمرو -رضى الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : « **إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والدَيْهِ؟!** ، قيل : يارسول الله ! وكيف يلعن الرجلُ والدَيْهِ؟! قال : « **يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ ،فَيَسُبُّ أَبَاهُ ،وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ** » (٢) .

٤-خلق الميوعة والانحلال:

يقول عبد الله علوان : أما ظاهرة الميوعه والانحلال فهى من أقبح الظواهر التى تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم فى العصر الذى يُلَقَّبُ بالقرن العشرين ، فحيثما

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لايشعر(١/ ١١٠ فتح)، ومسلم في كتاب الإيمان (٢/ ٥٤نووي) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب لايسب الرجل والديه(١٠/ ٤٠٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٢/ ٨٣نووي) .

أجَلْتَ النظر تجد كثيراً من المراهقين الشباب والمراهقات الشابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى ، وانخرطوا فى تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين ، أو وازع من ضمير ، كأن الحياة فى تصورهم عبارة عن متعة زائلة ، وشهوة هابطة ، ولذة محرمة ، فإذا ما فاتهم هذا فعلى الدنيا السلام .

وقد ظن بعض ذوى العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن ، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن ، مقياس التجديد بالتقليد الأعمى ، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم ، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن ينهزموا فى ميادين الكفاح والجهاد .

فترى الواحد من هؤلاء ليس له همٌّ فى الحياة إلا أن يتخنفس فى مظهره ، وأن يتخلَّع فى مشيته ، وأن يتميَّع فى منطقه ، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها ، ويقتل شخصيته فى التودد إليها . . وهكذا يسير من فساد إلى فساد ، ومن ميوعة إلى ميوعة ، حتى يقع فى نهاية المطاف فى الهاوية التى فيها دماره ، وهلاكه[1] ومن

(١) تربية الأولاد في الإسلام (١/ ١٩١) .

هنا يتعين على المربى أن يهذب أخلاق الولد وأن يبعده عن صحبة السوء ، وأن يربطه بالصحبة الطيبة وعليه أيضاً أن يباشر الولد فإذا وجد منه اعوجاجاً سارع بتقويمه قبل أن يتأصل فيه .

ثالثاً: التَّربِيَة الفِكريَّة

لقد انتشرت فى الساحة الآن أفكار كثيرة منها الصالح والطالح ، والبناء والهدام، والحق والباطل . فعلى الوالد أن يبين لولده الحقيقة، ويُفرق بين الغث والسمين من هذه الأفكار حتى يشب على بينة ، من أمره، ولا تجتاحه الأمواج كما اجتاحت كثيراً من شَّباب المسلمين .

ويدخل فى هذا أيضاً أن يعُلِّم ولده كيف يُنزلُ الناس منازلهم ، فإذا ذكر أمامه رجل من أهل المجون والَفسوق، كالفجرة من المغنيينَ والمغنيات مثلاً، احتقره وحط من قدره حتى لا يتخذه الولد قدوة له، وإذا ذكر أمامه أهل الدعاة أو المصلحين أو العلماء المستقيمين ، رفع قدره ، وعظّم أمره، وعود الولد على حبه كى يفتدى به، وهذه

لفتة مهمة لمن تدبرها .

ولابد من تعويد الولد وتنشئته على حب السنة وأهلها ، وبغض البدعة وأهلها .

رابعاً: التربية الجسمية

الجسد هو الدابة التى تحمل الروح فى السفر إلى الله، فإن أكرمتها ، وأحسنت إليها واصلت بل وإن أهملت أمرها انقطعت بك فى الطريق (**إنَّ لجَسَدكَ عليْكَ حقًا**) .

فلا مانع من تعليم الولد بعض التمرينات الرياضية التى تقوى جسده وتُنشِّط جسده وتنشِّط روحه، وقد قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- (**علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل**) .

فلو أحضرت لولدك بندقية وعلمته أصول الرماية الصحيحة لكان خيراً، وكذلك تعليمه قيادة السيارات والدراجات وغيرها من الآلات العصرية .

وأخيرا

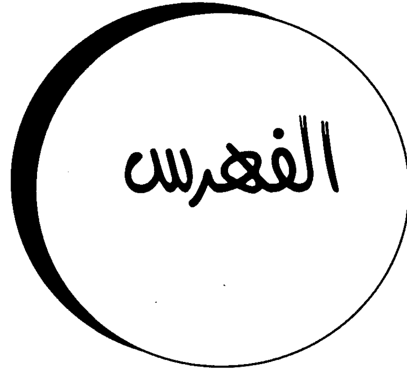
عليك بالملاحظة التامة لولدك فى كل حركاته وسكناته، وتصرفاته وتحاول أن تصلح ما تراه قد اعوجَّ سالكاً فى ذلك اللين والشدة، والرخاوة والقسوة، كل حسب حاجته، ولا تظن بذلك أن ولدك صار صالحاً كريماً مقداماً إنما عليك بالدعاء إلى الله والتضرع إليه أن يصلح ولدك فإن الله وحده هو الذى بيده مفاتيح القلوب.

ونسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل هذه الكلمات معينةلنا على تربية أبنائنا تربية صحيحة إن ولى ذلك والقادر عليه وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين من أئمة الهدى أجمعين.

وكتبه أفقر الخلق إلى الله

وحيد بن عبد السلام بالى

المدينة المنورة فى ٢٢/ ١/ ١٤٠ هـ


الفهرس

الفهرس

مطابع
دار الصحيفة
القاهرة ١ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٥٧٤٢/ فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤